جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

العبودية في ضوء سورة الإسراء وأثرها في النظم والفكر

إعداد

د. عالية أحمد مسفر الغامدي

أستاذ مساعد بقسم الشريعة
كلية الشريعة والقانون - جامعة الباحة السعودية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي I.S.S.N ٢٩٧٤-٤٦٦٠ و The Online ISSN ٢٩٧٦ ٤٦٧٩

قيمة العبودية في ضوء سورة الإسراء وأثرها في النظم والفكر

عالية أحمد مسفر الغامدي

قسم الشريعة- كلية الشريعة والقانون- جامعة الباحة- السعودية

البريد الإلكتروني :- aamesfar@bu.edu.sa

ملخص البحث:

موضوع هذا البحث هو دراسة قيمة العبودية، إحدى القيم العليا الواردة في سورة الإســـراء، وبيان أثرها في النظم والفكر، ويهدف إلى بيان مفهوم هذه القيمة، ومفهوم القيم العليا، والنظم والفكر، وعرض سياقات وردود هذه القيمة في السورة، وبيان أثرها، وقد اتبعت الباحثة المنهج الاســتقرائي والتحليلي، وخرجت بجملة من النتائج، وأهمهما: وردت قيمة العبودية في سياقات كثيرة في سورة الإسراء تضمنت عبودية الرسل، وسائر البشر، والكون له، تندرج تحت قيمة العبودية جملة وافرة من القيم التعبدية والاجتماعية والاقتصادية، والعلمية، والتربوية. لقيمة العبودية أثر كبير على سائر النظم الإسلامية، ومنها: النظام العقدي، والاجتماعي، والاقتصـــادي، ونظام العقوبات، وغيرها. لقيمة العبودية أثر كبير في ضبط الفكر والسلوك، ووضع موجهاته، وبيان مجالاته. ومن أهم التوصيات: دراسة قيمتي المسؤولية والتكريم في ضوء سورة الإسراء، دراسة القيم الاجتماعية في ضوء سورة الإسراء.

الكلمات المفتاحية: القيم – العبودية – سورة الإسراء – النظم – الفكر.

The value of slavery in light of Surat Al-Isra and its impact on the system and thought

Alia Ahmed Safar Al-Ghamdi
Department of Sharia - College of Sharia and Law -Al Baha University - Saudi Arabia
Email :- aamesfar@bu.edu.sa

Abstract::

The subject of this research is to study the value of servitude, one of the highest values mentioned in Surat Al-Isra, and to explain its impact on systems and thought. It aims to explain the concept of this value, the concept of higher values, systems and thought, and present the contexts and

responses of this value in the surah. And to explain its impact, the researcher followed the inductive and analytical approach, and came up with a number of results, the most important of which is: The value of servitude was mentioned in many contexts in Surat Al-Isra, which included the servitude of the Messengers, and all other human beings, and the universe belongs to Him. Under the value of servitude falls a multitude of devotional, social, economic, and scientific values, And educational. The value of slavery has a major impact on all other Islamic systems, including: the doctrinal, social, and economic systems, the penal system, and others. The value of slavery has a great impact in controlling thought and behavior, setting its guidelines, and clarifying its areas. Among the most important recommendations: studying the values of responsibility and honor in light of Surat Al-Isra, studying social values in light of Surat Al-Isra.

.

Keywords: Values - Slavery - Surat Al-Isra - Systems - Thought

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٩]، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فتعد القيم مكونًا أصيلًا من مكونات الثقافة الإسلامية إلى جانب: النظم، والفكر، ومن المعلوم أن المرجعية الأولى والمصدر الرئيس للثقافة الإسلامية – ومنها القيم – هو القرآن الكريم، وتأتي القيم العليا في رأس سلم القيم وتصنيفاتها.

وعند اطلاع الباحثة المتأني والفاحص لما كتب من بحوث ودراسات حول القيم العليا – وعلى رأسها قيمة العبودية – في سورة الإسراء لم تجد من تطرق من الباحثين لدراسة هذا القيمة من كافة جوانبها، وانعكاستها وآثارها على بقية جوانب الثقافة الإسلامية، على الرغم من الدراسات الكثيرة حول هذه السورة الكريمة، مما دفع الباحثة للتصدي لدراسة هذا الموضوع، وقد جعلته الباحثة تحت مسمى: (قيمة العبودية في ضوء سورة الإسراء وأثرها في النظم والفكر).

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث من خلال الآتي:

١ – إنه يؤصل لقيمة من القيم العليا – قيمة العبودية – في ضوء سورة كريمة من السور المكية.

٢ – جدة الموضوع، فهو أول دراسة تتبع سياقات ورود هذه القيمة في السورة مطابقةً أو تضمينًا، وجمعها في نسقٍ علميٍّ يكشف عن جوهر الترابط فيما بينها.

٣ – الكشف عن ملامح المنهج القرآني في إصلاح الفرد والمجتمع، والذي يبدأ أوّلًا من إصلاح العبودية لله تعالى؛ لأنها الوظيفة التي خلق الله الخلق لتحقيقها.

مشكلة البحث:

هناك عدد من الأبحاث والدراسات التي تناولت دراسة الأخلاق والمضامين التربوية في سورة الإسراء إلا أن أيا منها لم تتناول دراسة قيمة العبودية العليا في سورة الإسراء، كما أن تلك الدراسات لم تبين أثر هذه القيمة في مكونيْ الثقافة الإسلامية الآخَرِيْن، وهما النظم والفكر، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المشكلة لسد تلك الفجوة البحثية.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ – ما مفهوم قيمة العبودية؟

٢ – ما سياقات ورود قيمة العبودية في سورة الإسراء؟

٣ – ما أثر قيمة العبودية في النظم والفكر، كما وردت في سورة الإسراء؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١ – بيان مفهوم القيم العبودية

٢ – سياقات ورود قيمة العبودية في سورة الإسراء.

٣ – بيان أثر قيمة العبودية في النظم والفكر.

□

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تناولت دراسة في سورة الإسراء، وأهمها من وجهة نظر الباحثة:

١ – دراسة: كاظم، دعاء شاكر، (٢٠٢٣)، وهي بعنوان: (القيم التربوية في سورة الإسراء)، وهي مكونة من (١٨) صفحة، منشورة في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، عدد (٧٠)، الجزء (٢٠)، (٢٦٦– ٢٨٦)، ومضمونها مختلف تمامًا عن هذا البحث؛ كونه تضمن بعض القيم التربوية، كالإخلاص، والإنفاق، ورعاية اليتيم، ولم يتطرق لربطها بالنظم والفكر.

٢ – دراسة: الكبيسي، أحمد سريح سعد، (٢٠١٧)، وهي بعنوان: (القيم التربوية المستفادة من الوصايا العشر في سورتي الأنعام والإسراء: دراسة موضوعية)، وهي رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النيلين، السودان، ومضمون هذه الرسالة يتناول الوصايا العشر، ولا يتناول القيم العليا، وأثرها في النظم والفكر.

٣ – دراسة: الشرايري، سوزان نبيل عبد الحميد، (٢٠١٢)، وهي بعنوان: (المنظومة القيمية في سورة الإسراء وتطبيقاتها الأسرية)، وهي رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، وقد صنفت الباحثة القيم إلى دعوية، وخلقية، وحضارية، واقتصادية، وسياسية، وهذا يختلف عن دراستي.

٤ – دراسة: الكوسوفي، رجب بن حمدي إسماعيل، (٢٠١٢)، وهي بعنوان: (الجوانب الخلقية في سورة الإسراء)، وهي رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، وهي عبارة عن دراسة هدائية استنباطية للوصايا العشر.

٥ – دراسة: الصديق، عبد الله إبراهيم، (٢٠٠٤)، وهي بعنوان: (نحو تحديد القيم والأساليب التربوية الموجودة في سورتي الإسراء والكهف للاستفادة منهما في العملية التربوية)، وهي رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم درمان، السودان،

والرسالة عبارة عن إحصاء للقيم بين السورتين، ولم تتعرض لقيمة العبودية في سياقاتها المتعددة، وقد قمت بتتبع ذلك، ولم أظفر بشيء.

منهج البحث:

ستتبع الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث ستقوم الباحثة باستقراء آيات السورة، واستنباط ما يتعلق بقيمة العبودية من مضامين، وردت في السورة، وبعد ذلك ستقوم بتحليل تلك القيم، والرجوع لأهل التخصص والمفسرين، لسبر ما يتعلق بها.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، ومدخل مفاهيمي، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، ومشكلته، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المدخل المفاهيمي، وفيه:

أولًا: تعريفات عامة.

ثانيًا: بين يدي سورة الإسراء.

المبحث الأول: مفهوم قيمة العبودية، وسياقات ورودها في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم قيمة العبودية.

المطلب الثاني: سياقات ورود قيمة العبودية في سورة الإسراء.

المبحث الثاني: أثر قيمة العبودية في النظم والفكر في ضوء سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر قيمة العبودية في النظم

المطلب الثاني: أثر قيمة العبودية في الفكر

الخاتمة، وفيها: أهم نتائج البحث، وتوصياته.

المدخل المفاهيمي.

أولًا: تعريفات عامة: القيم ـ النظم ـ الفكر.

١ ـ تعريف القيم في اللغة والاصطلاح:

القيم في اللغة: جمع قيمة، والقيمة: ثمن الشـــيء بالتقويم، يقال: تقاوموه فيما بينهم. (الأزهري ٢٠٠١، ٢٦٩/٩)، والقيمة هي الثمن الذي يقاوم به المتاع، أي يقوم مقامه، ويقال: قوَّمت المتاع جعلت له قيمة معلومة (الفيومي، ٥٢٠/٢). قوم الشـــيء تقويما فهو قويم، أي: مســتقيم، (ابن منظور، ١٩٩٠، ٤٠٥/١٢)، قيمة الشـــيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمة ما له ثبات ودوام على الأمر (مصـــطفى، ١٩٧٢، ٧٦٨/٢).

وردت لفظة (قيم) بصـــيغ واشـــتقاقات متعددة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الأنعام: ١٦١]، وكذلك وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[النساء: ٥]. "قرأ نافع وابن عامر: (لكم قِيَمًا) بغير ألف، وقرأ الباقون: (قِيَامًا) بالألف. قال أبو منصـور: من قرأ (قِيَامًا) فهو من قول العرب: هذا قِوام الأمر، أي: مِلاكه، ومثله قوله جلَّ وعزَّ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[المائدة: ٩٧]، أي: قِوامًا. وقيل في قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾، أيَ: جعل المال يقيم بني آدم فيقومون بها قِياما. ومن قرأ: (قِيَمًا) فهو راجع إلى هذا المعنى: جعلها الله قيمة الأشـــياء، فيها تقوم أموركم، (الأزهري ٢٠٠١، ٢٩١/١، ٢٩٢). والشـــيء القيّم الذي له قيمة عظيمة، وتشـــتق كلمة القيمة في اللغة العربية من القيام، وهو نقيض الجلوس، والقيام بمعنى آخر هو العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن: ١٩]، أي: لما عزم. كما جاء القيام بمعنى المحافظة والإصـــلاح، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النســاء:

٣٤]، وأما القوام فهو العدل، وحُسن الطول، وحُسن الاستقامة (العوا ١٩٨٧، ٢١٥، ٢١٦)، والقِيَامُ والقِوَامُ: اسم لما يقوم به الشيء. أي: يثبت، كالعماد والسّناد: لما يعمد ويسند به (الأصفهاني، ١٩٩٢، ٦٩٠).

القيم في الاصطلاح:

تعدد تعريفات القيم بتعدد واختلاف مشارب واتجاهات المعرفين، والحقول التي تعمل القيم فيها أو تنضوي تحتها.

تعريف القيم بشكل عام:

تعرّف القيمة بأنها: ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقًّا لتقديرٍ كثيرٍ أو قليل فإن كان مستحقًّا لتقدير بذاته؛ كالحق، والخير، والجمال كانت قيمته مطلقةً، وأما إن كان مستحقًّا للتقدير من أجل غرض معين؛ كالوثائق التاريخية، والوسائل التعليمية كانت قيمته إضافية (صليبا، ١٩٨٢، ٢/٢١٣).

"هي مجموعة الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانًا يزنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"(غنايم، ٢٠١٨، ١٥٩).

أو هي: "مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية"(الطريفي، ١٩٩٦، ١٤).

تعريف القيم الإسلامية:

تعريف بأنها: "مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والاحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله؛ كما صورها الإسلام، وتتكوّن لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلاءم مع قدراته وإمكانياته، وتتجسد من خلال الاتجاهات أو الاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العلمي بصورة مباشرة وغير مباشرة"(أبو العينين، ١٩٨٨، ٣٤).

"مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل"(القيسي، ١٩٩٥، ٣٢٢٣).

تعريف القيم العليا:

هي القيم التي تسمو بالإنسان إلى معالي مراتب الأمور وترفع مستواه على سائر المخلوقات، ومن تلك القيم: الحق، والعدل، والعبودية والإحسان، والحكمة، وتعد هذه القيم من أرقى القيم وأسماها وأعلاها. (المانع، ٢٠٠٥، ٢٤).

٢ـ تعريف النظم في اللغة والاصطلاح:

النظم في اللغة:

النظم: تأليف شيء وتكثيفه (القزويني، ١٩٧٩، ٢/٥٦٧)، والنظام: الهدية والسير، وليس لأمر نظام، أي ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة، ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع: أنظمة وأناظيم ونظم (ابن منظور، ١٩٩٠، ١٢/٥٧٨)، والانتظام: الاتساق، والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، ويقال: نظام الأمر: قوامه وعماده (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، ١٥٠٠).

النظم في الاصطلاح:

"مجموعة من المبادئ والتشريعات والأعراف والقواعد وغيرها من الأمور التي تقوم عليها حياة المجتمع وحياة الدولة، وبه تنتظم أمورها الداخلية والخارجية"(سعيد، ٢٠٠٢، ٥ – ٤).

والنظام: هو القانون الذي يربط بين الفرد والمجتمع، وفي ظله يعرف كل فرد ما له من حقوق تجاه إخوانه وما عليه من واجبات حيالهم، ويدرك ما هو مشروع له فيمارسه، وما هو محرم عليه فينأى عنه، ومن ثم يتحقق للمجتمع استقراره ورفاهيته، بل وحضارته بين المجتمعات"(عويضة، ١٩٨١، ١٢).

تعريف النظم الإسلامية:

"هي المبادئ والأحكام التي شرعها الله لعباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ليستقيم بها أمر الناس في معاشهم ومعادهم"(عوض، ١٠١).

٢ـ تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح:

الفكر في اللغة:

مصدر من مأخوذ من فكَر في الأمر فكْراً، و"التَّفَكُّر: اسم للتَّفكير، ويقولون: فكّرَ في أمره، وتفكَّرَ، ورجل فِكِّير، كثير الإقبال على التّفكُّرِ، والفِكْرَة، وكلُّ ذلك معناه واحد، ومن العرب من يقول: الفِكرُ للفكرة، والفِكرى"(الأزهري، ٢٠٠١، ١٠/١١٦).

و"فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر"(القزويني، ١٩٧٩، ٤/٤٤٦).

و"يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنويَّة، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها"(مصطفى، ١٩٧٢، ٢/٦٩٨)..

الفكر في الاصطلاح:

قيل هو: "الفكر إعمال الخاطر في الشيء"(ابن منظور، ١٩٩٠، ٥/٦٥).

وقيل الفكر هو: حركة عقلية وقوّة مدركة يكتشف الإنسان عن طريقها القضايا المجهولة لديه والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها، فتنمو معارفه وعلومه وأفكاره في الحياة (بدوي، ١٩٨٢، ٤٢٥).

هو: "النظر في الأمر، ليقف الناظر على صحته، أو بطلانه"(الأشعري، ٢٠٠٥، ٢/٣٩١).

أو هو: "حركة النفس في المعقولات، وأما حركتها في المحسوسات فهو في الاصطلاح تخييل، والفكر لا يكون إلا في القلوب"(الشنقيطي، ١٩٩٥، ٦/١٦٨).

تعريف الفكر الإسلامي:

"هو كل ما ينتجه العقل المسلم من مفاهيم مرتبطة بعملية التحليل والاستدلال من المرجعية الثابتة للمسلمين (الكتاب والسنة) من المعارف الكونية التي تتصل بالكون وخالقه والمجتمع والإنسان، ومحاولة ذلك العقل نقل الوحي من حالة الكمون إلى حالة الحركة والتغيير والبناء"(الكيلاني، ٢٠١٧، ٤).

ثانيًا: بين يدي سورة الإسراء:

سورة الإسراء مكية، وآياتها إحدى عشرة ومائة.

تسميتها وفضلها:

تسمى سورة الإسراء، وتسمى أيضًا سورة (بني إسرائيل)، وقال عنها صلى الله عليه وسلم: "هن من العتاق الأوّل، وهن من تلادي"(البخاري، ١٩٩٣، ١٧٦٥/٤)، ويقصد بهذه السور: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء.

مقاصد سورة الإسراء:

بما أن سورة الإسراء مكية فهي تحمل خصائص القرآن الكريم المكي، وقد تميزت بكونها السورة الوحيدة التي وردت فيها إثبات الإسراء، وهي من المعجزات الكبرى الدالة على صدق الوحي، وصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم مقاصدها:

- ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، وتنقيتها من كل ما يشوبها. (البقاعي، ٢٨٦/١١)
- الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيان موقف المشركين منه. (طنطاوي، ١٩٩٨، ٢٧٤/٨)
- بيان بعض التكاليف الشرعية المتضمنة لقواعد السلوك الفردي والجماعي. (طنطاوي، ١٩٩٨، ٢٧٩/٨)

موضوعات السورة:

من أهم موضوعات هذه السورة:

- ذكر الإسـراء، وبيان حكمته، والإشـارة إلى المعراج، وذكر الكتاب الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام؛ ليكون هداية لقومه.
- بيان فضل القرآن، وإثبات دلائل تفرد الله.
- تقرير قاعدة التبعة الفردية الجماعية في الهداية والتصرفات والسلوك.
- ذكر مقومات الحياة الاجتماعية ابتداء من الإحسـان للوالدين، وانتهاء بالنهي عن أن يقفو الإنسان ما لا علم له به.
- النهي عن اتخاذ آلهة مع الله، وبيان تصـريف الله سـبحانه في القرآن؛ ليتذكر الناس، إلا أنه لم يزدهم إلا نفورا.
- ذكر تسـبيح كل ما في الوجود لله سـبحانه، وذكر جانب من أقوال المشـركين فيما يتعلق بالبعث، ودحضـها، وأمر المؤمنين بقول الكلمة التي هي أحسن.
- ذكر قصـة الخلق والتكوين، وتكريم آدم بالأمر بالسـجود له، وبيان أنواع من نعم الله في البر والبحر، وذكر تكريم الله لبني آدم، وبعض مشـاهد يوم القيامة.
- بيان تثبيت الله لنبيه صـلى الله عليه وسـلم بنتجيم القرآن، وبيان إعجازه، وأنه أنزله بالحق.
- حكاية طرف من قصة موسى عليه السلام مع فرعون.
- ختم السـورة بالأمر بحمد الله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شـريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، والأمر بتكبيره. (التفسـير المحرر، ٢٠١٨، ٩/١٤ – ١١)

المبحث الأول: مفهوم قيمة العبودية وسياقات ورودها في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم قيمة العبودية.

العبودية مصدر صناعي، مأخوذ من عبد يعبد عبادة وعبودية، والعبودية الطاعة، (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، ٣٧٨)، وأصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبد: التنسك، (ابن منظور، ١٩٩٠، ٣/٢٧١، ٢٧٢)، والعبادة: فعل ما يرضي الرب، (الزبيدي، ١٩٧٠، ٨/٣٣٠).

وبناء على ما تقدم فللعبودية معان في اللغة، ومنها: الطاعة، الخضوع، التذلل، الإذعان، فعل ما يرضي الله تعالى.

العبودية في الاصطلاح:

"هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة"، (ابن تيمية، ٢٠٠٥، ٤٤).

والعبودية عند ابن القيم لها أربع قواعد: "التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح. فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع"(ابن القيم، ١٩٩٦، ١/١٢٠). وقال: "ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة: من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح ... وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح"(ابن القيم، ١٩٩٦، ١/١٢٩).

تعريف العبودية كقيمة:

تعرفها الباحثة العبودية كقيمة عليا بأنها: الخضوع والاستسلام والطاعة لله تعالى بالقلب والروح والجوارح والحياة كلها، عملًا بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والعبودية هي القيمة الوجودية الأولى للإنسان، والغاية من خلق الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد"؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا"(البخاري، ١٩٩٣، ١٦٣/٨، النيسابوري، ١٩٥٥، ٥٩/١)، والعبودية "أساس القيم، فهي قيمة كلية شاملة مهيمنة على القيم الأخرى، بل على الوجود الإنساني كله"(المانع، ٢٠٠٥، ٣١).

ولا وجود لغاية أخرى في حياة الإنسان غير العبادة، فالحياة لا يمكن أن تكون بدون هدف يخدم مصالح الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، فهي القيمة التي ترافق العبد في الدارين.

إن العبودية قيمة عليا تحدد ماهية الفرد والمجتمع، وتلقي بظلالها وانعكاساتها على جميع القيم الحضارية والاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وغيرها.

وقيمة العبودية لله تعالى فيها سعادة العبد وخلاصه من كل أشكال العبودية للإنسان، ولا سبيل لذلك إلا بعبودية كل البشر لله وحده، وتساويهم أمامه عز وجل، فيرتبطون برباط العبودية المشتركة، وتتلاشى كل معايير التفاضل بينهم إلا معيار تقوى الله تعالى، الذي يقتضي بدوره التواضع للبشر والسعي في خدمتهم تقربا إلى الله.

والعبودية لا تعود بالنفع على المعبود سبحانه وتعالى بل على العابد نفسه، وبها صلاح دينه ودنياه وآخرته، وهي تتجاوز معنى المهمة إلى معنى الحياة، ليصبح مسماها الحياة التعبدية، والمهمة التي يجب أن يضطلع بها الإنسان هي مهمة الخلافة على أساس من عمارة الأرض وفق منهج العبودية لله تعالى؛ ذلك أنَّ الخلافة وظيفة تعبدية في الأساس، وفق الهدي القرآني.

المطلب الثاني: سياقات ورود قيمة العبودية في سورة الإسراء.

وردت قيمة العبودية في سورة الإسراء في سياقات متعددة، وتحتها عدد من القيم الفردية والجماعية:

أولا: بيان أن أعظم من حقق العبودية هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وممن ورد ذكرهم في مقام العبودية في سورة الإسراء حسب ترتيب السياق:

١ – تشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بكونه عبدا لله:

فقد حقق مرتبة العبودية، وذلك بشهادة الله تعالى له وتشريفه بإضافته إليه؛ وأول ورود لها في افتتاحية السورة؛ حيث وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمقام العبودية؛ وفيها أعظم تشريف له صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، و"إن أعلى مقام للعبد أن يكون عبدًا لله تعالى، التعبير بلفظ (العبد) في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها؛ إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبر به في هذا المقام العظيم الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى من آيات ربه الكبرى"(الشنقيطي، ١٩٩٥، ٣/٨). ويشير الإمام ابن القيم إلى أن الله تعالى قال في الآية: (بعبده) ولم يقل: (برسوله)، ولا (نبيه)؛ إلى "إلى أنه قام هذا المقام الأعظم بكمال عبوديته لربه، ولذا ذكر الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باسم عبوديته في أشرف مقاماته؛ في مقام الإسراء كما هنا، وفي مقام الدعوة، ومقام التحدي، فقال في مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن: ١٩]، وقال في مقام التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[البقرة: ٢٣]، (ابن القيم، ٢٠١٩،

١١/١)، كما أن وصفه بقوله: (بعبده): لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات"، وفي ذلك حماية لهم الانحراف العقدي والفكري.

فهذه الآيات الكريمة وصف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد حقق مقام العبودية، ذلك المقام العظيم، وفي ضمن هذه القيمة التي هي القيمة المحورية في الآية يمكن استنباط قيم أخرى، ومنها: قيمة التصديق بمعجزة الإسراء والمعراج، وقيمة الإيمان بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقيمة التعظيم لله سبحانه وتعالى بدلالة افتتاح السورة بذلك.

٢ – تشريف نبي الله نوح عليه السلام بالعبودية:

حقق نبي الله نوح عليه السلام العبودية في أسمى تجلياتها، مضيفا إليها قيمة كبرى لا يتحلى بها إلا الخلَّص الكمَّل من عباد الله، وهي قيمة الشكر التي ترتبط في سياقات ورودها بالشكر، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣]، ولذلك كانت النتيجة النجاة من الطوفان، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: ٣]، ففي هذه الآية التنويه بالثناء على نوح عليه السلام، بقيامه بالعبودية وبالشكر الله، واتصافه بذلك. وفيها الحث لأتباعه ولمن جاء بعدهم أن يقتدوا به في عبوديتهم لله تعالى وشكره، وأن يتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم؛ إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض، وأغرق غيرهم.

وفي تخصيص نوح عليه السلام وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به عليه الصلاة والسلام؛ فإنه أبوهم الثاني، فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلًا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧].

والشكر يحرر المرء من الجحود ونكران الفضل والنعمة، فيثني العبد على من أكرمه، وأسدى له معروفاً، ويعترف له بالفضل، فيعكف القلب على محبة المنعم، وهذا من السلوكيات الإيجابية العظيمة التي أرشدنا إليها القرآن، فقد وصف الله تعالى نوحًا

بأنه كان "كثير الشـــكر في مجامع حالاته وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران"(أبو السعود، ٥/١٥٦).

وتحت نعمة العبودية تتولد وتندرج جملة من القيم الإيجابية؛ كالخوف، والرجاء والرضا، والتوكل على الله تعالى وحده، والمحبة، والورع، واتخاذ الله تعالى ومعنيا وكافيا وغيرها.

٣ – تشريف موسى عليه السلام وبني إسرائيل بالتوراة:

فقد أعطى الله تعالى نبيه موســـى عليه الســـلام التوراة لتكون هدى لقومه من بني إســـرائيل، وحثهم على العبودية وفقًا لما تضـــمنته من الهدى والنور، ونهاهم الله أن لا يصـرفوا هذه القيمة إلا له سـبحانه وتعالى، وإنهم إن صـرفوا لغيره فلا نصـير لهم ولا ولي، قـال تعـالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾[الإسـراء: ٢]، "أي: وقلنا لهم ذلك وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله وحده وينيبوا إليه ويتخذوه وحده وكيلا ومدبرا لهم في أمر دينهم ودنياهم ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا ولا ينفعونهم بشيء"(السعدي، ٢٠٠٠، ٤٥٣).

فـ"ذكر تشريف محمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء، ثم ذكر عقيبه تشريف موسى عليه الصـــلاة والســـلام بإنزال التوراة عليه، ثم وصـــف التوراة بكونها هدى، ثم بين أن التوراة إنما كان هدى لاشتماله على النهي عن اتخاذ غير الله وكيلا، وذلك هو التوحيد، فرجع حاصـــل الكلام بعد رعاية هذه المراتب أنه لا معراج أعلى ولا درجة أشـــرف ولا منقبة أعظم من أن يصير المرء غرقا في بحر التوحيد وأن لا يعول في أمر من الأمور إلا على الله، فإن نطق، نطق بذكر الله، وإن تفكر في دلائل تنزيه الله تعالى، وإنْ طَلَبَ طَلَبَ من الله، فيكون كله لله وبالله"(الرازي، ٢٠٠٠، ٢٠/٢٩٨).

وفي هذا إشـارة إلى أن العبودية قيمة ربانية تسـتغرق الزمان والمكان والأشـخاص، وهي قيمـة يجـب أن تبقى مـا بقي الـدهر، ومعنى كون الله تعـالى الوكيل: أنـه الكفيل

بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، الذي يتولى أمور عباده المتقين، الذين يلجأون إليه ويعتمدون عليه، فيكفيهم ويغنيهم ويرضيهم.

وهذا يربي روح العبودية ويزكيها، فكلما كان العبد أكثر عبودية كان أصدق توكلا على الله وتفويضا لأموره إليه سبحانه.

٤ – وصف المسلطين على بني إسرائيل بكونهم عبادًا لله تعالى:

فهم جند من جنده تعالى يتصفون بالشجاعة وقوة البأس، بعثهم الله تعالى لتنفيذ أمره الكوني، كما جل شأنه: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾[الإسراء: ٥]

"وقوله: (فإذا جاء وعد أولاهما) أي: أولى الإفسادتين (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) أي: سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولي بأس شديد، أي: قوة وعدة وسلطة شديدة (فجاسوا خلال الديار) أي: تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا (وكان وعدا مفعولا)"(الدمشقي، ١٩٩٩، ٤٧/٥)، فالله جل وعلا يعطي القيادة والراية لأمم يختارها، وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، فكلما كانت أمة من الأمم أقرب إلى الله ديناً أناط الله بها قيادة العالم، وقد تتغلب بعض الأمم ولو لم تكن حضارتها إيمانية، فتظهر لأخذها بأسباب العلم والقوة، وتماس العلو في الأرض، ولكنها لا تلبث أن تزول، ولا يدوم لها ذلك.

والملاحظ من خلال ما تقدم أن الله شرف أنبياءه محمدا ونوحا وموسى بالعبودية، كما شرفها غيرهم من العباد، فمن شروط العبودية نال هذا التشريف والمقام العظيم.

ثانيًا: بيان أن الركن الأعظم في العقيدة الإيمان

وهذا له مقتضيات كثيرة، وقد وردت في السياقات الآتية في السورة:

إن من تعلق بغير الله تعالى فهو مذموم مخذول في الدارين، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[الإسراء: ٢٢]، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم: (لا تجعل) يا محمد مع الله شريكًا ولكن أخلص له العبادة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، (فتقعد مذمومًا). يقول: تصير ملومًا على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفى إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، (مخذولًا) قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، فإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه، لم يكن لك من دونه ولي ينصرك ويدفع عنك"(الطبري، ٢٠٠١، ٥٤١/١٤).

وجاء الخطاب في قوله تبارك وتعالى: (لا تَجْعَلْ) عامًا، لكي يشعر كل فرد يصلح للخطاب أن هذا النهى موجه إليه، وصادر إلى شخصه؛ لأن سلامة الاعتقاد مسألة شخصية، مسؤول عنها كل فرد بذاته وسيحمل وحده تبعة انحرافه عن طريق الحق يوم لا ينفع مال ولا بنون"(طنطاوي، ١٩٩٨، ٣٢٣/٨)

٢ – و الشرك مناف للعبودية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[الإسراء: ٢٣]، فـ"هذا هو أساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تقبل الأعمال إلاّ به. وما أرسل الله رسولا إلاّ داعياً إليه، ومذكراً بحججه. وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة (لا إله إلاّ الله). وهي كلمته الصريحة فيه... (مع الله) المعية هنا هي معية اعتقادية. (إلها آخر) الإله هو المعبود، والعبادة نهاية الذل والخضوع مع الشعور بالضعف والافتقار وإظهار الانقياد والامتثال ودوام التضرع والسؤال... فنهى الله الخلق كلهم عن أن يعتقدوا معه شريكاً في ألوهيّة، فيعبدوه معه ليعتقدوا أنه الإله وحده فيعبدوه وحده. وبين لهم أنهم إن اعتقدوا معه شريكًا وعبدوه معه، فإن عبادتهم تكون باطلة، وعملهم يكون مردوداً عليهم، وأنهم يكونون مذمومين من خالقهم، ومن كل عقل سليم من الخلق، يكونون مخذولين لا ناصر لهم: فأما الله فإنه يتركهم وما عبدوا معه، وأما معبوداتهم فإنها لا تنفعهم، لأنها عاجزة مملوكة مثلهم فما

لهم – قطعًا – من نصير. والخطاب وإن كان موجهاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه عام للمكلفين"(ابن باديس، ١٩٩٥، ٦٢).

فنهى سبحانه وتعالى عن الشرك، ونهي عن أن يعبد معه سواه، فالعبادة بالقلب، واللسان، والجوارح لا تكون إلاّ لله، و"كرر هذا مع ما سلف، للتنبيه إلى أن التوحيد رأس الدين، ورأس الحكمة، وهو مبدأ الأمر ومنتهاه"(المراغي، ١٩٤٦، ٤٨/١٥).

والجدير بالتأمل أن هذه والآية رقم ٢٢ من السورة قد وردتا بين آيات الوصايا العشر، وكلها أحكام تشريعية ونظم فكرية لحماية الحواس مما يبين أهمية قيمة العبودية في مجال الفكر والنظم.

٣ – الأمر بتنزيه الله

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[الإسراء: ١١١].

ففيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله تعالى فهو المستحق لجميع أنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، والشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، ولا يحتاج لمن يناصره ويعزّزه، وعظّمه تعظيمًا كثيرًا، فلا تنسب له ولدًا ولا شريكًا في الملك ولا مناصرًا معينًا.

فمن مقتضى عبوديته تعالى تنزهه عن كل شريك له تعالى في ملكه، إذ كيف يكون المخلوق شريكا لله تعالى في ألوهيته تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

وبهذه القيمة يعرف الإنسان ربه خالق الكون، ويدرك حقيقة وجوده في الحياة، وأنه مخلوق لغاية، ومحاسب على وقته وجهده وعمره، لتحقيق غايته العظمى وهي رضا الله ودخول الجنة، ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[التوبة: ٧٢].

□

ثالثًا: العبودية أساس الإيمان وقاعدته، وهي نهاية التعظيم لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣]، ففي الآية حصر وقصر بـ(ما) و(إلا)، فـ"العبادة غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة، ونهاية الإنعام"(العمادي، ٥/١٦٦).

والمعنى: "أمر الله تعالى ألا تعبدوا غيره، وهذا يتضمن أمرين: الاشتغال بعبادة الله تعالى، والتحرز عن عبادة غير الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم، ولا يستحق ذلك غير الله عز وجل؛ لأنه مصدر النعم والإنعام من إعطاء الوجود والحياة والقدرة والعقل"(الزحيلي، ١٩٩١، ١٥/٥٣).

وهذه القيمة لون من ألوان السلوك في الحياة يجب أن تكون لله وحده، وهي الأساس الأول في منظومة القيم العليا، وأساس التزكية، والتشريع.

وهذه الآية تنبيه على "أن إصلاح الأعمال متفرع على نبذ الشرك... وقد ابتدأت تشريع للمسلمين أحكام عظيمة لإصلاح جامعتهم، وبناء أركانها؛ ليزدادوا يقينًا بارتفاعهم على أهل الشرك، وبانحطاط هؤلاء عنهم، وفيها تعريض بالمشركين الذين كانوا منغمسين في المنهيات ... وقد افتتحت بفعل (القضاء) المقتضي الإلزام، وهو مناسب لخطاب أمة تمتثل أمر ربها... فحذرهم من عبادة غير الله"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٥/٦٥).

رابعًا: بيان آثار الشرك:

وعلى رأسها ضلال العقول والفكر، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٤٢، ٤٣]، وقيمة العبودية فيها تأكيد على الانسجام مع الوجود؛ فالقرآن في مراعاته للفطرة الإنسانية تحقيق للانسجام البنائي بين مصدر الكمال سبحانه، والخطاب الموجّه، ومتلقي الخطاب، فالإنسان خلقُ الله ونفخة من روحه، والوجود كله سائر في طريق الله مسبح

بحمده، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[الإسراء: ٤٤]، وهذا الانسجام ينفي "الصراع بين الإنسان والكون وإنما هي علاقة انسجام في إطار عبودية كل المخلوقات لله وحده، ليكون ذلك منطلقًا لتصحيح كافة العلاقات الأخرى بما حول الإنسان ومن حوله، (ابن حميد، ١/١٣٠)، وهو ما ينعكس على طبيعة الحياة التي تتحول في إطار هذا التصور القرآني إلى سعادة دائمة، وعلى أهداف الإنسان في الوجود؛ فطلب العلم واكتشاف أسرار الطبيعة يصير صداقة للطبيعة وحبا متبادلا مع الوجود، والعلم ذاته لا يصبح مقصودا لذاته، بل يصير عبادة لله تعالى التي هي مصدر التحرر من عبودية غير الله، وسبيلا للتخلص من وهم الصراع وقلق المصير؛ ومن ثم فالمنهج القرآني منهج الانسجام الداخلي والخارجي بين الإنسان وكل شيء في هذا الوجود، ويضع الإنسان حيث يجب أن يوضع، مخلوقا ذا رسالة سامية في هذه الحياة"(عبود، ١٩٧٦، ١٤٣).

خامسًا: القول الحسن من مقتضيات العبودية:

وهي قيمة نابعة وتابعة لقيمة العبودية، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[الإسراء: ٥٣]، "وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره"(السعدي، ٢٠٠٠، ٤٦٠)

فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله باختيار الكلام الأحسن اللطيف اللين في مخاطباتهم ومحاوراتهم، وسائر كلامهم، وإلا نزغَ الشيطان بينهم وأوقعهم في شباك العداوة والبغضاء والاقتتال.

والتي هي أحسن من القول هو: الموافق للشرع لا القبيح المخالف له، فلا نظر فيه لفصـــاحته ولا لعدمها، وهو يكون مع البر والفاجر، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وهذا حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبســطاً طلقاً مع البر والفاجر والســني والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضــي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموســى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه: ٤٤]، فالقائل ليس بأفضــل من موســى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"(القرطبي، ١٩٦٤، ٢/١٦).

والقول الحسن يشمل: الحسن في هيئته؛ وفي معناه، ففي هيئته: أن يكون باللطف، واللين، وعدم الغلظة، والشـــدة، وفي معناه: بأن يكون خيراً؛ لأن كل قولٍ حســـنٍ فهو خير؛ وكل قول خير فهو حسن"(العثيمين، ٢٠٠٣، ١/٢٦٨).

ومن القول الحســـن الأمر بـالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم، وبـذل الســلام، والبشــاشــة وغير ذلك من كل كلام طيب، "ولما كان الإنســان لا يســع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسـان إلى كل مخلوق، وهو الإحسـان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار"(السعدي، ٢٠٠٠، ٥٧).

فأكدت الآية على القيم السلوكية القولية؛ لأهميتها في حماية القيم السلوكية؛ فاهتم التشريع الإسلامي باللسان وما يتلفظ به، ولم تكتفِ النصوص القرآنية بتوجيه الإنسان إلى قول الكلام الحسن، بل حثته على قول الأحسن منه وهو غاية التهذيب اللفظي كما في الآية.

فالإسلام يبني مجتمعًا يقوم على المحبة والألفة، وتسوده مشاعر الأخوة، والقول بالتي هي أحســـن دعوة عامَّة للقول الطيب المطلوب بجميع أنواعه في مخاطباتهم ومحاوراتهم.

فلا عجب أن يكون القول الحسن قيمة عظيمة في الحياة الإنسانية فهو يبني المجتمع بناء أخلاقيا وقيمياً، لما له من التأثير في النفوس والإبقاء على المودة بينها، وهو من مقتضيات الكرامة الإنسانية، وهو يسد مداخل الشيطان، كما صرحت ذلك هذه الآية؛ فعلى العبد ينتقي أطيب الكلام وأحسنه، ويتخيّر أجمل الألفاظ الّتي تصفي له ودّ أخيه؛ حتَّى لا يدع للشَّيطان سبيلاً، ولذلك أثنى الله تعالى على المؤمنين، وهذا القول الحسن مطلوب حتى مع الأعداء.

والقول الحسن يضيق هوة الخلاف بين الناس، بخلاق القول الشيء الذي يثير العداوة ويزيد الخلاف اتساعًا، والقلوب حقدًا.

سادسًا: إخلاص عبودية الدعاء:

والإخلاص قيمة مرتبطة بالعبودية قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وإخلاص العبادة لله تعالى، وصدق التوجه إليه، وخلوص النية والعمل من الرياء أو قصد غير الله تعالى هو أصل الدين، وقد دلت عليه كثير من النصوص، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وأما شرط المتابعة والموافقة لشرع الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فيقصد به أن تكون العبادة مأذوناً بها في شرع الله تعالى وعلى الكيفية التي أمر الله بها وارتضاها، وهذا مقتضى القول بأن العبادات توقيفية كما ذكر العلماء بمعنى أن تكون على ما شرع الله وعلى هدي سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عبرة بالعبادة إذا

انتفى عنها هذا الشـرط، بل هي مردودة على صـاحبها غير مقبولة، وهو مأزور غير مأجور، وعمله إحداث في الدين وابتداع فيه، قال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(البخاري، ١٩٩٣، ٢/٩٥٩).

والدعاء قيمة تعبدية كبرى، وله أثر عظيم على طمأنينة القلوب، وانشـراح الصدر، والشعور بالسعادة؛ لأن الدعاء هو العباد، الدعاء من أسباب جلب النفع، ودفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سـبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضـعفه، "وليس شـيء من الأسـباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصـول المطلوب"(القاسمي، ١٩٩٨، ٢/٣٧).

وفي طي هذه القيمة المذكورة في الآية قيم أخرى مرتبطة بها؛ كقيمة الأدب مع الله تعالى، وقيمة الإخلاص لله تعالى، وقيمة الركون إلى الله تعالى العزيز القادر على جلب النفع ودفع الصر وترك الركون إلى ما سواه، وقيمة الرجاء، وقيمة الخوف من الله تعالى، وقيمة الرحمة، وقيمة المراقبة، وغيرها.

فلا سـلطان لشـياطين الجن والإنس على عباد الله تعالى؛ لأن الله تعالى يقي عباده منهم إذا أخلصوا له من تسويلهم وتزيينهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

فهذه الآية تغرس الطمأنينة في قلوب المؤمنين الصـادقين، وفيها وعد من الله تعالى لهم، "إن عبادي الصـالحين الذين أخلصـوا دينهم لي، ليس لك يا إبليس تسـلط واقتدار على إغوائهم وإضـلالهم، وصـرفهم عن السـبيل الحق إلى السـبيل الباطل. والإضـافة في قوله: (إن عبادي) للتشـريف والتكريم؛ حيث خصـهم سـبحانه بهذا اللون من الرعاية والحماية"(طنطاوي، ١٩٩٨، ٨/٣٩٢).

"و(كفى بالله) حافظًا ومؤيدًا وقيمًا على الهداية، ونصـيرًا للمؤمنين الصـالحين المتوكلين عليه، الذين يسـتعينون به على التخلص من وسـاوس الشـيطان، وهذا دليل على أن المعصوم: من عصمه الله، وأن الإنسان بحاجة دائما إلى عون الله جل جلاله.

وفي قوله تعالى: (إِنَّ عِبادِي) الإضافة للتعظيم، فتدل على تخصيص العباد بالمخلصين، علمًا بأن العباد اسم عام لجميع الخلق، وذلك بقصد تشريفهم والتنويه بهم"(الزحيلي، ٢٠٠٢، ٢/١٣٦٨).

وهذه الآية تفيد أن العباد الصالحين سالمون من إغوائه وإضلاله، ومكر إبليس يكون لمن ضعف إيمانهم، ووهنت عبوديتهم، وعليه فليس للشيطان سلطة على الذين يتحققون بعبوديتهم لله تعالى، وأما الذين يتهربون من المسؤولية، فينغمسون في الخطايا، ويلقون على الشيطان مسؤوليتها، فلا حماية لهم، وبذلك يتم التوازن في أمور التكليف والتربية، ويوضع كل أمر منها في محله الملائم له، فمن استصحب معية الله ووقايته ازداد قوة بالله وثباتا في مواجهة استفزاز الشيطان وإغراءاته.

فلا بد من التعلق بالله تعالى ولزوم الذكر والدعاء والاستعاذة، ليقي العبد نفسه وأهله من كيد الشياطين، "فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقًا به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر"(ابن القيم، ١٩٩٩، ٦٤).

وبقيمة الذكر والتوكل على الله تدفع شياطين الإنس والجن، وبقدر تحقيق لعبودية الله يضعُف سلطان الشيطان العبد.

وإذا شاء العبد الخلاصَ من إغواء الشيطان، والنجاةَ من نار الجحيم، فعليه أن يخلص لله على طريق العبودية، وأن يستقيم له في اتباع أمره، فالله هو الحافظ، وهو النصير، وإليه المرجع وإليه المصير.

سابعاً: خطاب العبودية خطاب إنساني عام:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[الإسراء: ٦٧].

فهؤلاء المشركون الذين يعبدون من دون الله، إذا مسهم الضر في البحر، لم يذكروا إلا الله فاستغاثوا به، فلما أغاثهم وسلّمهم مما يخافونه، وصاروا في البر أعرضوا عن توحيده ودعائه وحده، ورجعوا إلى أصنامهم، وهذا طبع راسخ في الإنسان دال على جحوده نعم الله تعالى.

من رحمته تعالى أنه يراعي النفس البشرية، ويخاطب جوهر الإنسان وطبيعة البشر، وبالرغم من تلك الفطرة السليمة التي يولد عليها الإنسان إلا أن العوارض من شأنها إحداث الزيغ والانحراف، كعوامل التربية وظروفها، ومغريات الحياة وشهواتها، وكيد الشيطان، وسطوة الأهواء، وغير ذلك من العوامل التي تعمل كلها على حجب ذلك الجوهر، والانحراف بتلك الطباع الفطرية عن مسارها.

فالمصائب والنوازل تصفي جوهر الفطرة الإنسانية وتعيدها للنقاء والصفاء تحت مطارق النكبات والأحداث الجسيمة، والملاحظ حينئذ أن من يَعْبُد غيرَ الله تعالى يضل عنه معبوده، ويرميه وراء ظهره، ويعود المشرك إلى الله، ولا يجد سواه سبحانه مجيرًا ومنقذًا، فهو سبحانه المنقذ ينقذ في لحظة الخطر؛ لأنه الرب الخالق هو أرحم بخلقه، وهذه الرحمة تنقذ المضطر حتى لو كان كافراً، وهذا يتفق مع شهدت به ذرية آدم من الإقرار بوحدانية الله تعالى وهم في عالم الذر؛ حينما أخذ الله سبحانه علينا العهد الأول، وقال لنا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[الأعراف: ١٧٢]. وهذا يسمى إيمان الفطرة قبل أن تصيبها الحجب والغشاوات؛ لذلك حين تتفرق الآلهة الباطلة من حول الكافر، فهو يرجع إلى نفسه، ويدعو الله سبحانه وتعالى.

□

ثامنا: بيان عناية الله بعباده وخبرته بهم:

قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦]، ففي هذه الآية بيان أن الله هو الكافي، وهو ذو خبرة وعلم بما يصلح لعباده من التدبير والتصريف، ومن يستحق منهم الهداية أو الضلال.

وهو سبحانه الخبير بعباده العليم بسرائرهم؛ وضَمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم؛ الذي لا يَخفى عنه شيء. وقال: خبيرٌ بكلِّ ما يَعْملونه ويكسبونه؛ مِنْ حَسنٍ وسيء، حافظُ ذلك عليهم؛ ليُجازيهم على كل ذلك، وقد أضاف العباد إليه في قوله (بعباده) رحمة بهم ورعاية لحالهم، وفي العلم بأن الله الخبير تربية للعبادة على مجموعة من القيم وعلى رأسها مراقبة الله تعالى، فيعدلون ويرحمون ويوفون بكل ما يتعهدون به، ولا يفعلون ما يسخطه سبحانه وتعالى، ويخلصون في مناجاته.

وفي اسمه (البصير) آثار جمة على العباد: فهو ينظر للمؤمنين بكرمه ورحمته، ويمن عليهم بنعمته وجنته، ويزيدهم كرمًا بلقائه ورؤيته، وفي ثنايا ذلك حث لهم على قيم جليلة ومنها: الحياء منه ودوام مراقبته، والتوكل عليه، والرضا بقضائه وقدره.

المبحث الثاني: أثر قيمة العبودية في النظم والفكر في ضوء سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر قيمة العبودية في النظم:

ستتناول الباحثة بإيجاز بعض هذه النظم؛ للتدليل على أثر هذه القيمة فيما يأتي:

أولا: أثر قيمة العبودية في النظام العقدي:

وهو النظام الذي "يعنى بكل الأحكام العقدية التي يجب على المسلم سواء ما يتعلق بالله الإيمان بها سواء ما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، والإقرار بوجوده، وبأنه خالق الكون ومدبره، أو ما يتعلق بالأنبياء والمرسلين وكتبهم ومعجزاتهم، أو ما يتعلق بالأمور السمعية الغيبية؛ كالإيمان بالقدر واليوم الآخر، والإيمان بالملائكة وعالم الجن. (القوسي، ٢٠٠٥، ٣٦٣).

وقد تجلى هذا النظام بوضوح في الآيات السورة؛ فمن مقتضيات العبودية أن يعبد الله بما شرع، فالبشر لا يمكنهم سن وتشريع القوانين في مجال التعبد؛ لأن العبادة حق لله، والله لا يعبد إلا بما يحب ويرضى، وما يحبه ويرضاه لا يعلم إلا من جهة الوحي، كما لا يمكنهم التشريع والتقنين لأنفسهم لأنهم عاجزون عن إدراك ما يقتضيه التشريع من الأحكام المطلقة، كما أنه يغلب عليهم الهوى، وقد اعترف القانونيون بهذه الحقيقة، أن الإنسان لا يستطيع أن يكتشف قوانين حياته بنفسه، وأن الطريق الوحيد لذلك هو الوحي (القرني، ٢٠١٥، ١٥٦، ١٥٧)، والقرآن الكريم واضح الدلالة على هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء: ٨٢]

وآيات السورة فيها آيات كثيرة تدل على العبودية والإيمان بالله تعالى واستعرض كل ذلك ليس محله هنا وإنما الغرض الإشارة وليس الاستقصاء:

أولا: الإيمان الربوبية، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، وقد وردت في عدة سياقات، ومنها:

١ – تعاقب الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء: ١٢]، ففيها "شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه"(العمادي، ٥/١٥٩).

٢ – التذكير بالنعم، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ٢٠]، "وهذه الآية فذلكة للتنبيه على أن الله تعالى لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم الذين لا يؤمنون بلقائه فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة"(ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٥/٦١)، ففيها ترغيب في العبودية من خلال التذكير بنعم الله تعالى.

٣ – الكون بما فيه يسبح لله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤]، "فالذي ينبغي لنا أن نستفيده من ذلك أن نذكر في قلوبنا عند رؤية كل شيء من صنع الله، وسماع كل صوت من مخلوقات الله، أنه يسبح بحمد الله بدلالته على تنزيهه عما لا يليق به، وعلى قدرته وحكمته ومشيئته ورحمته، وأن لها تسبيحًا آخر غيبيا لا نفقهه، لأننا لا ندرك حياتها، وقد يكون إدراكه ثمرة روحية لمن زكت أنفسهم بذكر الله وتسبيحه، وخرجوا به من ظلمات الأهواء والشهوات إلى نور قدسه"(رضا، ١٩٩٠، ١٠/٢١٣)

٤ – الرب سبحانه بقدرته هو الذي يسهل حركة الخلق في البحر، قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[الإسراء: ٦٦]، أي: "ربكم اللطيف بعباده هو الذي يوفر مصالح خلقه ويسهل لهم سبل الحياة، فيجري ويسير لكم السفن في البحر بمختلف القوى كالريح أو الطاقة البخارية أو الكهربائية أو الذرية، لنقل الأشخاص للسياحة أو للارتزاق بين بلاد الدنيا، ونقل البضائع والسلع التجارية من إقليم إلى إقليم، وطلب الرزق من فضل الله، إنه كان بكم رحيما، أي إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم"(الزحيلي، ١٩٩١، ١٥/١٢٢).

٥ – التكريم للخلق جميعًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٠]. والمقصود من هذه الآية ذكر نعمة من نعم الله الجليلة الرفيعة التي أنعم بها على الناس مؤمنهم وكافرهم، وهي الأشياء التي بها فضل الإنسان على غيره من الحيوان، وفي هذا تشريف لبني آدم، وتكريم لهم، حيث خلقهم على أحسن الهيئات وأكملها، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة يفقهون بذلك كله وينتفعون به، ويفرقون بين الأشياء، ويعرفون منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية.

٦ – الاستدلال بخلق السماوات والأرض على وجود الخالق سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء: ٩٩]. وبيان ما سبق أن من تفرد بخلق الليل والنهار وجعلهما متعاقبين، وأسبغ النعم ظاهرة وباطنة وسبح الكون له، وكرم الخلق جدير بأن يفرد بالعبودية.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة، وقد وردت في عدة سياقات، وقد جرى تحليل هذه السياقات سابقًا، وتضيف الباحثة إليها، المعالم الآتية:

١ – الأمر المباشر بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣]. "أي: أَمَر وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة. وهذه الآية أفادت حصر العبادة لله وحده بطريق النفي والإثبات، مقررةً بذلك معنى: (لا إله إلا الله)؛ فقوله:)أَلَّا تَعْبُدُوا(في معنى (لا إله)، وقوله:)إِلَّا إِيَّاهُ)، في معنى (إلا الله)"(العقل، ٢٠١٧، ٤٠).

٢ – إقامة الدلائل على الوحدانية، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٤٢]"يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله، الذي هو خالق الأشياء، يقول: لفسد أهل السماوات والأرض"(الطبري، ٢٠٠١، ١٦/٢٤٦)، "والمقصود هنا أن في هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى ; لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته، من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوى الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة، فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته "(ابن تيمية، ١٩٨٦، ٣/٣٣٤– ٣٣٥)

٣ – التعقيب على الأحكام الشرعية بقضية التوحيد والأمر بإفراد العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[الإسراء: ٣٩]، أي: فقد "اشتملت على محاسن الأخلاق والحكمة، وقوانين المعاني المحكمة، والأفعال الفاضلة"(القرطبي)، وقد اشتملت الوصايا التي عقبت بها هذه الآية "على جملة من الآداب، والأحكام، يرجع حاصلها "إلى الأمر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات، والإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، وذلك من الحكمة"(الخازن، ١٩٩٥، ٣/١٣١).

الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، وقد وردت في عدة سياقات، وهي مرتبة بالعبودية وكاشفة عنها، ومرتبة بها، ومنها:

١ – كثرة الأسماء الحسنى في خواتيم آيات السورة وتكرار بعضها؛ حيث ورد فيها ١٢ اسما، هي: **الله** ١٠ مرات، **الرب** ٣٢ مرة، **الخبير** ٣ مرات، **الحليم** مرة واحدة، **الغفور** مرتين، **الرحمن**، مرة واحدة، **الرحيم** مرة واحدة، **السميع**، مرة واحدة، **البصير**، ٤ مرات، **الوكيل**، مرتين، **النصير**، مرتين، **الشهيد**، مرة واحدة، ومن ثمرات الإيمان بأسماء الله عَزَّ وجَلَّ: أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتحلّي بما يصح أن يتحلى به منها، ويظل دائم السؤال لربه.

٢ – الدعوة إلى تنزيه الله ودعائه بأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾[الإسراء: ١١٠]. ولا يعرف العبد ربه ويعبده حق عبوديته إلا بمعرفته بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى، فإذا ما تم له معرفة ذلك عرف ربه جل وعلا، وحينئذ يسأل ربه ويدعوه بها، كما أمر الله بذلك في محكم كتابه.

ولا شك أن للإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى العديد من الآثار العظيمة، والثمرات الجليلة التي تنفع العبد في دينه ودنياه، وتزيده قربًا من ربه، ومحبة له، ومعرفة به، وإنابة إليه، وإخباتًا له، وثقة وتوكلا عليه.

٣ – كثرة الصفات الواردة في السورة، ومنها: البركة والتبارك، الرحمة، العلم، الخلق والفطر، الرزق، الهداية، الإرادة، الإحاطة ، الخبرة، الحلم، المغفرة، الرحمة، السمع، الإبصار، النصرة، الشهادة.

إن المعرفة الصحيحة بالله وبأسمائه وصفاته تعالى وآثارها تقود الإنسان إلى العبودية، وتحرره من كل أشكال العبودية لغير الله؛ من عبادة الأصنام، وعبادة البشر، فهي آلهة مزعومة، لا تكشف ضُرًا ولا تجلب نفعًا، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

ثانيًا: أثر قيمة العبودية في النظام الاجتماعي:

"وهو ما يعنى بالنواحي الاجتماعية والعائلية والأسرية في المجتمع الإنساني"(القوسي ٢٠٠٥، ٣٦٣).

ومن ملامح هذا النظام المرتبطة بقيمة العبودية، كما وردت في سورة الإسراء:

١ – طاعة الوالدين، والوصية بالقرابة، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ففي الآية أمر بعبادته وتوحيده، وجعل برّ الوالدين مقرونًا بذلك، وهو أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام وأركانه، ومن البر بالوالدين عدم التعرض لها بالسب والمنقصة، والعقوق، وهذا البر لا يختص بكون الوالدين مسلمين، فإن كانا كافرين يبرّهما، ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد. ومن بر الوالدين، الإحسان إليهما أنْ لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، أن يتلطّف معهما بقول ليّن لطيف، كريم، وأن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلّة، في أقواله، وسكناته ونظره، ولا يحدّ إليهما بصره، ومن البر التّرحّم عليهما والدّعاء لهما. (القرطبي، ١٩٦٤، ١٠/ ١٥٥ – ١٦١). وهذا طرف من نظام التكافل الاجتماعي الذي أرسى الإسلام قواعده، وثبت أركانه.

٢ – الوصية المسكين وابن السبيل، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[الإسراء: ٢٦]. وبهذا يتضح إنّ مجال العبودية في الإسلام

هو مجال الحياة كلها؛ لأنّ العبودية إذا كانت نمطًا للعمل وللسلوك في الحياة فإنّ عمل الإنسان لمساعدة الآخرين عبادة، وعمله لكسب قوته وقوت من يعوله عبادة وإيمانه بالله عبادة؛ بل لا يتحقق البر دون الإيمان والعبادة، وإذا كان الأمر كذلك فإن العبودية ذات تأثير في كافة نظم الحياة، ومنها فيما يخص هذا الموضوع. والوصية بالمسكين وابن السبيل من صور التكافل الاجتماعي.

٣ – القول الحسن للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[الإسراء: ٥٣]، ففيها حث على استعمال الطيب من العبارات، في العلاقات وفي الحوار الفكري والثقافي، وفي العلاقات العامة والخاصة، فالكلمة الطيبة تؤلف بين القلوب، على المسلم أن ينتقي أطيب الكلام وأحسنه، وأن يتخيّر ألطف الألفاظ وأجملها فتصفي له ودّ أخيه؛ حتَّى لا يدع للشَّيطان مدخلاً.

٤ – الوفاء بالعهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٤]، وهذه الآية توجب على العباد أن يكونوا أوفياء بكل ما عاهدوا الله على القيام به، من تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وبكل ما عاهدوا عليه غيرهم من الناس عليه مما يصح فيه العهد شرعًا، فالله سبحانه سوف العهد يسألهم يوم القيامة عن تلك العهود والمواثيق.

ثالثا: أثر قيمة العبودية في النظام المالي والاقتصادي:

وهذا النظام يعني بطرق كسب المال وتنميته وإنفاقه، ومن ملامح هذا النظام المرتبطة بقيمة العبودية، كما وردت في سورة الإسراء:

١ – تحريم التبذير والإسراف، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[الإسراء: ٢٦، ٢٧]، من المعلوم أن "المال قوام الأعمال، وأداة الإحسان، وبه

يمكن القيام بالحقوق، فصاحبه هو مالكه، ولكن الحقوق فيه تشاركه، ولا يقوم له بوجوه الحق إلاّ إذا أمسكه عن وجوه الباطل. ثم لا يقوم له بجميع تلك الوجوه إلاّ إذا أحسن التدبير في التفريق، وابتغى الحكمة في التوزيع. فلذا بعدما أمر الله تعالى بإعطائه الحقوق لأربابها، نهى عن تبذير المال الذي هو أجملها، وبه يمكن إعطاؤها"(ابن باديس، ١٩٩٥، ٨١).

٢ – بيان حرمة مال اليتيم وتحريم أكله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[الإسراء: ٣٤]، "اليتيم إما أن يكون قوة بانية في الجماعات أو قوة هادمة، فإن روعي حق رعاية، وحوفظ عليه بالصيانة والتربية والتنشئة نشأة صالحة يحس بأن من حوله يرعاه، ويكلؤه ويحميه نشأ محبًّا رحيمًا بغيره؛ لأنه عاش برحمة غيره، وإن نشأ في بيت لا يؤنسه ولا يكرمه، ولا يعطيه محبةً ورفقةً نشأ عدوًّا للجماعة، وكان فيه ما يسمى عقدة النفس، أو مركب النقص، ولذا عني به الإسلام أبلغ عناية بنصوص القرآن الكريم"(أبو زهرة، ٨/٤٣٧٧).

٣ – الأمر بالوفاء بالكيل والوزن، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[الإسراء: ٣٥]، "وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مثمن أو معقود عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة"(السعدي، ٢٠٠٠، ٤٥٧)، وقد رغب الله تعالى في إيفاء الكيل والوزن بأمرين: الأول: (ذلك خير)، وكلمة (خير) عامة وتعني الخير الكبيرة، ومن جوانب الخيرية هنا حصول الثقة بين البائع والمشتري، وحصول كل منهما على حقه بالعدل والقسط، ومن الخير راحة بال كل منهما، وأكلهما الحلال الذي لا تشوبه حرمة، ومن الخيرية حفظ النظام الاقتصادي ونظام المعاملات الذي هو من ضرورات حياة الناس. والأمر الثاني: (وأحسن تأويلا) أي عاقبة في العاجل للبائع في سلامة عرضه وسمعته وأخلاقه من المنازعات

والخلافات والشـــحناء والمطالبات، وخير في الآجل؛ لأنه وفى بما أمر الله الوفاء به، فيحصل له الأجر العظيم بإذن الله تعالى.

"ولو عمل المســلمون بهذه الوصـــية لاســتقامت أمور معاملتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم، وكانوا حجة على غيرهم من المطففين والمفســدين. وما فســدت أمورهم وقلت ثقتهم بأنفسهم"(رضا، ١٩٩٠، ٨/١٦٩).

٤ – ذم الإفراط والتفريط في النفقة والحث على التوسط فيها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[الإســراء: ٢٩]، "يقول تعالى آمرا بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أي: لا تكن بخيلا منوعا، لا تعطي أحدا شـيئًا... وقوله: (ولا تبسطها كل البسط) أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوما محســورًا. وهذا من باب اللف والنشــر أي: فتقعد إن بخلت ملوما، يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك"(١٩٩٩، ٥/٧٠).

إن التوســط والاعتدال في النفقة ســمة من ســمات المنهج الإســلامي في الاقتصــادي، وما من حكم شــرعي، إلا وقد نيط بعلته في الغالب، كما في هذه الآية، وهي اللوم والتحسر هنا، "والتربية الإسلامية في تربيتها لفطرة الإنسان تتمشى مع روح الإسلام التي تقوم في أساسها على التوسط والاعتدال فخير الأمور الوسط، وقد أمرنا ديننا بالابتعاد عن الإسراف فالله لا يحب المسرفين"(مرسي، ٢٠٠٥، ٧١).

رابعًا: أثر قيمة العبودية في نظام العقوبات:

وهذا النظام يعني ببيان الأحكام والزواجر التي شــرعها الله تعالى عند الاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، وغيرها.

ومن ملامح هذا النظام المرتبطة بقيمة العبودية، كما وردت في سورة الإسراء:

١ – تحريم قتل الولد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٣١]، وقد كان هؤلاء لجهلهم بخالقهم وانحرافهم الأخلاقي قاصري الفكر يقتلون أولدهم، فعالج القرآن الكريم هذه الرذيلة بإبطال سببها وبين عظيم قبحها وسوء عاقبتها. إن قتل الأولاد خوفًا الفقر لهو من سوء الظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعى في لخراب العالم، والأول انتهاك لحرمة أوامر الله فهو الرزاق الرحيم المتكفل بعباده وبأرزاقهم، والثاني ضد الشفقة على خلق الله، وكلاهما مذموم غاية الذم، وانتهاك لحق من حقوق الإنسان وهو الحق في الحياة، وهكذا جعل الذكر الحكيم قتل الأبناء جرما عظيمًا، وذنبًا كبيرًا، ودليلا على زوال الرحمة من القلب، فهو تجرؤ على قتل نفوس معصومة لم يجر منها معصية ولا ذنبٌ.

٢ – تحريم الزنا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٣٢]، الزنى جريمة أخلاقية، ففيها اعتداء على الأعراض، واختلاط الأنساب، ومن مقاصد الشريعة حماية الأعراض والنسل، وهذا من الضروريات الخمس، فالزنى يتنافى مع مبادئ الإنسانية، لم يقره الشرع أبدًا؛ ففيه هتك الأعراض، واختلاط الأنساب، وقضاء على الحرمات، وتقويض دعائم الاجتماع والعمران، وما شاع وانتشر الزنى في قوم أو مجتمع إلا ابتلاهم الله بالأمراض والأوجاع، وسلط عليهم الفقر والذل والهوان. "وتعليق النهى بقربانها، للمبالغة في الزجر عنها؛ لأن قربانها قد يؤدى إلى الوقوع فيها، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. وهذا لون حكيم من ألوان إصلاح النفوس؛ لأنه إذا حصل النهى عن القرب من الشيء، فلأن ينهى عن فعله من باب أولى"(طنطاوي، ١٩٩٨، ٨/٣٣٩).

٣ – تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[الإسراء: ٣٣]، وحماية النفس مقصد من مقاصد الشريعة، والنفس إحدى

الضـروريات الخمس، فقتل النفس اعتداء على خلق الله تعالى، و"حفظ النفس من أعظم القواعد الكلية للشـريعة الإسـلامية. ولذلك كان النهي عن قتل النفس من أهم الوصـايا التي أوصـى بها الإسـلام أتباعه في هذه الآيات الجامعة"(ابن عاشـور، ١٩٨٤، ١٥/٩١).

ولا بد من التنويه هنا على أثر العبودية في النظم السـابقة جميعها،في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[الإسـراء: ٢٢]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[الإسـراء: ٣٩]، و"(ذلِكَ) إشـارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هذه الغاية. وسـماه حكمةً؛ لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفسـاد بوجه...ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشـرك؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحكَّ بيافوخه السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم، وهم عن دين الله أضل من النعَم"(الزمخشري، ١٩٨٧، ٢/٦٦٨).

فـ"ابتدأ بتطهير العقل والنفس من أدران الشـرك، ورجس الأوثان ثم بين بناء المجتمع على دعائم الأسـرة، وعلى ألا يجعل يده مغلولة إلى عنقه ولا يبسـطها كل البسط ونهى عن الإسراف وما من إسراف إلا ووراءه حق مضيع، ثم طهر المجتمع من أوزاره فنهى عن الفحشـاء، وقتل النفس أو قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسـن، وأمر بأن تقوم العلاقة بين الناس على أسـاس الوفاء بالعهد، وعلى أن يجب الإنسـان لنفسـه ما يحب لغيره، وأن العلاقة على أسـاس المقام الذي لَا اعتداء فيه هي خير وأحسـن، ونهى عن السـير وراء الأوهام، وهذه كلها علوم نافعة، لأن فيها نفع الإنسـان وإقامة مجتمع صالح قد حُلِّي بمكارم الأخلاق، وخلي من ملائم الناس"(أبو زهرة، ٨/٤٣٨٥).

قال ابن باديس: "وفي افتتاح الآيات بقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾، وختمها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾،

بيان من الله تعالى لخلقه، بأن الدين هو أصل هذه الكمالات كلها، وهو سياج وقايتها، وسور حفظها، وأن التوحيد هو ملاك الأعمال وقوامها، ومنه بدايتها وإليه نهايتها، وكذلك المسلم الموفق يبتدئ حياته بكلمة التوحيد حتى يموت عليها"(ابن باديس، ١٩٩٥، ١١٢).

و"الحكمة الأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والنهي عن أراذل الأخلاق وأسوأ الأعمال. وهذه الأعمال المذكورة في هذه الآيات من الحكمة العالية التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في أشرف الكتب ليأمر بها أفضل الأمم فهي من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرًا"(السعدي، ٢٠٠٠، ٤٥٨).

المطلب الثاني: أثر قيمة العبودية في الفكر:

الفكر هو المكون الثالث من مكونات الثقافة الإسلامية، وقد ضبط القرآن الكريم مسالك الفكر، وحدد مجالاته، فالكون كله بما فيه من تجليّات العظمة الإلهية، وهو كتاب منظور، وهو مرتع خصب للفكر كي يغوص فيه متأمّلا متدبّرا، فيزداد المؤمن العاقل المتفكّر إيمانًا ويقينًا وخشوعًا وعبوديةً لله تعالى.

إن استعراض أثر قيمة العبودية في المجال الفكري في السورة سيطول، ويخرج هذه البحث عن مقاصده، والحيز المتاح له، ولذلك سيقتصر الباحث على بعض المعالم؛ كالآتي:

١ – التوجيه إلى استعمال الحوس، فيما يرضي الله تعالى ولا يغضبه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦]، "أي: ولا تتبع ولا تقتف ما لا علم لك به، من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً، وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة"(الرازي، ٢٠٠٠، ٣٣٩/٢٠). وهذا نهي عن تبديد الطاقات التي وهبها لنا الله من سمع وبصر وعقل في قفو أشياء زائفة، مع ضرورة استخدام العقل والتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد فيه، فنهي "عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال"(الدمشقي، ١٩٩٩، ٥/٧٥).

وفي الآية محافظة على العقل، وهو إحدى الضروريات الخمس، وإن "العلم الصحيح، والخلق المتين، هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان، وبهما يضطلع بأعباء ما تضمنته الآيات المتقدمة، من أصول التكليف؛ فهما أعظم مما تقدمهما من حيث توقفه عليهما. فجيء بهما بعده، ليكون الأسلوب من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى"(ابن باديس، ١٩٩٥، ٩٩).

وفي تعقيب الآية بقوله: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، دلالة على قيمة المسؤولية عن الحواس والجوارح، فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما

استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، "(السعدي، ٢٠٠٠، ٤٥٧).

فبينت هذه الآية لطريق السوي الذي يجب أن يسلكه المؤمن للوصول إلى الحق، وهو أن لا يتبع الأوهام، فما ضل الناس في كل عصر إلا باتباع الأوهام، وما وراء الأوهام، وهذا هو ديدن العقول غير المدركة فتكون الأهواء والشهوات، وضلال الأفهام، ووراء ذلك الوقوع في عبادة الأوثان.

٢ – حث العقول البشرية إلى استخدام أجهزة الحواس في النظر العميق في أجزاء الكون ومكوناته، والحقائق الإنسانية والاجتماعية، والحاضرة والتاريخية، لاكتشاف آيات الله في خلقه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء: ٩٩]. فبينت الآية ما دأب عليه المشركون من إنكار البعث مع وضوح أدلته التي لا يماري فيها إلا عنيد مكابر، ينكر الشمس وهي ساطعة؛ فنبههم الله تبارك وتعالى في هذه الآية، على قدرته العظيمة التي غفلوا عنها ولم يتفكروا في آثارها.

وإن التفكير الصادق يقود إلى الحق، ومعرفة الخالق والإيمان به سبحانه وتوحيده، أما الظالمون فلم يزدادوا إلا جحودًا ومضيا في كفرهم وجحودهم، بعد أن دمغتهم الحجة فأزهقت باطلهم.

٣ – الدعوة لمعرفة نواميس الكون وتفهمها، بطريقة تمكنهم من الاستفادة منها وتسخيرها لصالح البشرية جمعاء، فيلحظ القارئ للقرآن – وبخاصة المكي منه – تأكيدًا متكررًا وتوجيها مباشرًا إلى السير والنظر، وقد والآيات التي تستثير في الإنسان دواعي النظر والتبصر والتأمل كثيرة، ومنها في هذه السورة، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء: ١٢]

٤ – وضع ضوابط للفكر، ومنها – مثلًا – قطع الأمل عن إدراك كنه الروح، فما أوتيه الناس جميها من العلم قليل، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥]، فقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ "دليل على خلق الروح، أي: هو أمر عظيم، وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهمًا له وتاركًا تفصيله، ليعرف الإنسان – على القطع – عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها. وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى. وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوقٍ مجاورٍ له، دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز"(القرطبي، ١٩٦٤، ١٠/٣٢٤).

٥ – بيان أن حقائق القرآن، لا يدركها إلا الذين أُوتوا العلم والفكر اليقظ لمعرفة المصالح الدينية والدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[الإسراء: ١٠٧]، وهذه الآية تفيد أن هذا القرآن العظيم لا يقدره حق قدره، ولا يعرف فضله، إلا من انتفع بعقله وفكره، وأحسن الاستماع إليه، وتدبره والتلقّى عنه، وأنّ أصحاب العقل، وأهل العلم، هم أقرب الناس فهمًا لهذا الكتاب الكريم، وأكثرهم معرفة به، وأعظمهم تأثرًا به، وأصدقهم نظرًا إليه، وعرفانًا بقدره ومعرفة بفضله.

٦ – بيان أن العقل هو موضع المعرفة والفكر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[الإسراء: ٤٦]، فهؤلاء المشركون الذين انحرفت أفكارهم وضلت عقولهم بدلًا من الاهتداء بهدى القرآن، يفرون منه، فقد جعل الله تعالى على قلوبهم أغطية تحول دون تفهم معاني القرآن وتدبر آياته والتفكر في أمثاله فلم يسمعوه سماع قبول وتدبر، وتعقل وتفكر.

٧ – النعي على الذين لا يعتبرون صنعيهم، لانحراف فكرهم، وترددهم بين شبهات متعددة حول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٤٨]، و"الأمر هنا (انظر) هو إلفات للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكلّ مؤمن، أن ينظر في تلك المقولات التي يقولها المشركون، وإلى تلك الأمثال التي يضربونها، ويتخدون منها حجة على إنكار البعث.. وقد كانت تلك الأمثلة التي ضربوها مما أملته عليهم أهواؤهم الفاسدة، وعقولهم المريضة؛ كانت سببًا في أن ضلّوا هذا الضلال، الذي ألقى بهم في متاهات لا يستطيعون الخروج منها، ولا يجدون فيها من يدلّهم على طريق يسيرون فيه، حتى في وسط هذا الضلال. إنهم في حيرة مطبقة، يدورون فيها حول أنفسهم. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾، حيث نفى الاستطاعة المطلقة عنهم، إلى التعرّف على أي طريق. ولو كان من طرق الضلال.

وقدّم الأمر بالنظر إلى تلك الأمثال التي ضربوها، على هذه الأمثال، حتى يتهيأ الناظر إليها، ويخلى نفسه من كل نظر إلى غيرها. وذلك لما فيها من فتنة وضلال. الأمر الذي يدعو إلى إمعان النظر فيها، حتى يتوقى الناظر إليها ما فيها من شرّ مستطير، وخطر داهم"(الخطيب، ٨/٤٩٧).

٨ – لفت النظر إلى جوانب القدرة في التفضيل بين البشر، قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٢٠، ٢١]، ففي الآية إلفات إلى أن الله خلق البشر متفاوتين في الاستعدادات النفسية والبدنية والقدرات والعقلية وفي الأعمال، وفي الإدراك والتمييز والأخلاق، كل ذلك بمقتضى نظام سننه في خلقه تفضيل بعضهم على بعض درجات في الدنيا، وكل هذا دال على بديع صنع الخالق جلت قدرته،

وعجيب وضـــع العليم الحكيم، فمكنهم تعالى كلهم من الأســباب، وإدراك العقل، وحرية الإرادة.

٩ – توجيه الفكر إلى فيما ينتجه القرآن من المعارف: لأنه مبرأ من كل نقص وعيب، محكم لا يعتريه الخلل من أي جهة كانت، ومن البديهي أن النظام المعرفي والفكري المحكم لن ينتج إلا معرفة صحيحة محكمة في أرقى درجة تجعلها صالحة لأن ترسم مناهج الحياة للبشرية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء: ٩]. إن أصـــحاب المناهج الوضـــعية لا يكادون يســـتريحون إلى شـــيء من معارفهم ونظرياتهم التي وصلوا إليها، وكل نظرية سابقة تهدمها نظرية لاحقة.

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره وعونه على إتمام هذا البحث، وفي الختام يطيب للباحثة أن أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

النتائج:

١ – سورة الإسراء من السور المكية العظيمة المشتملة على القيم العليا جميعها، والمسؤولية والوسطية والتكريم، وغيرها.

٢ – وردت قيمة العبودية في سياقات كثيرة من السورة تضمنت عبودية الرسل، وسائر البشر، والكون له.

٣ – تندرج تحت قيمة العبودية جملة وافرة من القيم التعبدية الاجتماعية والفكرية والتربوية والإنسانية والاقتصادية، والعلمية.

٤ – لقيمة العبودية تجليات وأثر كبير على سائر النظم الإسلامية، ومنها: النظام العقدي والاجتماعي والاقتصادي ونظام العقوبات، وغيرها.

٥ – لقيمة العبودية أثر كبير في ضبط الفكر والسلوك، ووضع موجهاته، وبيان مجالاته في الكون الفسيح، والسنن الربانية في مصير الأمم، وأفول الحضارات.

٦ – الإسلام جعل الحواس منافذ للدراسة والنظر والاستدلال، وفهم أسرار الكون، والتأمل في خلق الإنسان نفسه، وبين أنه مسؤول عنها أمام الله تعالى.

التوصيات:

توصي الباحثة بما يأتي:

١ – دراسة قيمة المسؤولية في ضوء سورة الإسراء.

٢ – دراسة القيم الاجتماعية في ضوء سورة الإسراء

٣ – دراسة قيمة التكريم في ضوء سورة الإسراء.

المصادر والمراجع:

١- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (١٩٩٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد البغدادي. بيروت. دار الكتاب العربي. ط٣.
٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (١٩٩٩). الوابل الصيب من الكلم الطيب. تحقيق: سيد إبراهيم. القاهرة. دار الحديث. ط٣.
٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (٢٠١٩). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. تحقيق: عبد الرحمن قائد، وآخرين. الرياض. دار عطاءات العلم. بيروت. دار ابن حزم. ط٣.
٤- ابن باديس، عبد الحميد الصنهاجي. (١٩٩٥). مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. بيروت. دار الكتب العلمية.
٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (٢٠٠٥). العبودية. تحقيق: محمد زهير الشاويش. بيروت. المكتب الإسلامي. ط٧.
٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٨٦). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. تحقيق: محمد رشاد سالم. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١.
٧- ابن حميد، صالح بن عبد الله. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. جدة. دار الوسيلة للنشر والتوزيع. ط٤.
٨- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس. الدار التونسية للنشر
٩- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري. (١٩٩٠هـ). لسان العرب. بيروت. دار صادر. ط٣.
١٠-أبو العينين، علي خليل. (١٩٨٨) القيم الإسلامية والتربية. المدينة المنور. مكتبة إبراهيم حلبي.
١١-أبو زهرة، محمد مصطفى. زهرة التفاسير. بيروت. دار الفكر العربي.

١٢-الأزهري، أبو منصـــور محمد بن أحمد. (٢٠٠١). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط١.
١٣-الأشـــعري، أبو الحســـن علي بن إســـماعيل. (٢٠٠٥). مقالات الإســـلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: نعيم زرزور. صيدا. المكتبة العصرية. ط١.
١٤-الأصـفهاني، الحسـين بن محمد الراغب. (١٩٩٢). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان داودي. دمشق. دار القلم. ط١.
١٥-البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٣). صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دمشق. دار ابن كثير – دار اليمامة. ط٥.
١٦-بدوي، أحمد زكي. (١٩٨٢). معجم مصـــطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت. مكتبة لبنان.
١٧-البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناســب الآيات والســور. القاهرة. دار الكتاب الإسلامي.
١٨-الخازن، علاء الدين علي بن محمد (١٩٩٥). لباب التأويل في معاني التنزيل. بيروت. دار الكتب العلمية.
١٩-الخطيب، عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة. دار الفكر العربي.
٢٠-الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي السلامة. الرياض. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢.
٢١-الرازي، محمد بن عمر الفخر. (٢٠٠٠)، مفاتيح الغيب. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط٣.
٢٢-رضـــا، محمد رشـــيد (١٩٩٠). تفســـير القرآن الحكيم (تفســـير المنار). القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣-الزبيدي، محمد مرتضـــى (١٩٧٠). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المتخصصين. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
٢٤-الزحيلي، وهبة بن مصـطفى. (١٩٩١) التفسـير المنير: في العقيدة والشـريعة والمنهج. دمشق. دار الفكر. بيروت. دار الفكر المعاصر. ط١.

٢٥-الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (٢٠٠٢). التفسير الوسيط. دمشق. دار الفكر. بيروت. ط١.
٢٦-الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٨٧). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ضبطه: مصطفى حسين أحمد. القاهرة. دار الريان للتراث. بيروت. دار الكتاب العربي. ط٣.
٢٧-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠). تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط١.
٢٨-سعيد، محمد رأفت. (٢٠٠٢). المدخل لدراسة النظم الإسلامية. القاهرة. دار الوفاء.
٢٩-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٩٩٥). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٠-صليبا، جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي. بيروت. دار الكتاب العربي. بيروت. مكتبة المدرسة. ط١.
٣١-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ط١.
٣٢-الطريفي، عبد الله، وآخرون. (١٩٩٦) الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا. الرياض. ط١.
٣٣-طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٨). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة. دار نهضة مصر. ط١.
٣٤-عبود، عبد الغني. (١٩٧٦). العقيدة الإسلامية والإيديولوجيات المعاصرة. القاهرة. دار الفكر العربي، القاهرة. ط١.
٣٥-العثيمين، محمد بن صالح. (٢٠٠٣). تفسير سورة الفاتحة والبقرة. الدمام. دار ابن الجوزي. ط١..
٣٦-العقل، عبد الرحمن بن عبد العزيز. (٢٠١٧). غاية المريد شرح كتاب التوحيد. مركز النخب العلمية – مطبعة معالم الهدى للنشر والتوزيع. ط٣.

٣٧- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
٣٨- العوا، عادل. (١٩٨٧). الفكر العربي الإسلامي. تونس: المنظمة العربية للثقافة والإعلام.
٣٩- عوض، بكر زكي. المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية. الإسكندرية. مطابع القدس.
٤٠- عويضة، حسن عبد الحميد. (١٩٨١). النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة. الرياض. دار الرشيد. ط٢.
٤١- غنايم، فايق محمد. (٢٠١٨). الإسلام والصحة النفسية والجسدية للأنام. دار المأمون للنشر والتوزيع.
٤٢- الفيروز آبادي، (٢٠٠٥)، طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ط٨.
٤٣- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت. المكتبة العلمية.
٤٤- القاسمي، محمد جمال الدين. (١٩٩٨). محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت. دار الكتب العلمية. ط١.
٤٥- القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة. دار الكتب المصرية. ط٣.
٤٦- القرني، عبد الله. (٢٠١٥). المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عبد الله القرني. السعودية. مركز التأصيل للدراسات والبحوث. ط٤.
٤٧- القزويني، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت. دار الفكر. ط١.
٤٨- القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. (٢٠١٨). التفسير المحرر. الظهران. مؤسسة الدرر السنية. ط١.

٤٩-القوسي، مفرح سليمان. (٢٠٠٥)، المدخل إلى النظم الإسلامية. *مجلة الدرعية*. المجلد ٧. العدد (٢٧، ٢٨). (٣٥٧ – ٤٠٧).

٥٠-القيسي. مروان. (١٩٩٥). المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة. *مجلة دراسات، سلسلة العلوم الانسانية، (الملحق). جامعة اليرموك، إربد. الأردن*. المجلد ٢٢. (أ). العدد (٦).

٥١-الكيلاني، رعد شمس الدين، (٢٠١٧)، الفكر الإسلامي: النشأة والتطور والتحديات المعاصرة، بغداد، مكتبة شمس الأندلس للطباعة الرقمية والتصميم والنشر، ط١.

٥٢-المانع، مانع بن محمد. (٢٠٠٥). القيم بين الإسلام والغرب: دراسة تأصيلية. الرياض. دار الفضيلة. ط١.

٥٣-المراغي، أحمد مصطفى. (١٩٤٦). تفسير المراغي. مصر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط١.

٥٤-مرسي، محمد منير. (٢٠٠٥). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. عالم الكتب.

٥٥-مصطفى، إبراهيم. وآخرون. (١٩٧٢). المعجم الوسيط. دار الدعوة، د.ت،

٥٦-النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. (١٩٥٥). صحيح مسلم. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث: ٤٦٨
مقدمة ٤٧٠
أهمية البحث: ٤٧٠
مشكلة البحث: ٤٧١
أسئلة البحث: ٤٧١
أهداف البحث: ٤٧١
الدراسات السابقة: ٤٧٢
منهج البحث: ٤٧٣
خطة البحث: ٤٧٣
المدخل المفاهيمي. ٤٧٤
أولاً: تعريفات عامة: القيم - النظم - الفكر. ٤٧٤
١ - تعريف القيم في اللغة والاصطلاح: ٤٧٤
٢ - تعريف النظم في اللغة والاصطلاح: ٤٧٦
٣ - تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح: ٤٧٧
ثانيًا: بين يدي سورة الإسراء: ٤٧٨
المبحث الأول: مفهوم قيمة العبودية وسياقات ورودها في سورة الإسراء، وفيه مطلبان: ٤٨٠
المطلب الأول: مفهوم قيمة العبودية. ٤٨٠
المطلب الثاني: سياقات ورود قيمة العبودية في سورة الإسراء. ٤٨٢
أولا: بيان أن أعظم من حقق العبودية هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ... ٤٨٢

ثانيًا: بيان أن الركن الأعظم في العقيدة الإيمان ٤٨٥
ثالثًا: العبودية أساس الإيمان وقاعدته، وهي نهاية التعظيم لله تعالى: ٤٨٨
رابعًا: بيان آثار الشرك: ٤٨٨
خامسًا: القول الحسن من مقتضيات العبودية: ٤٨٩
سادسًا: إخلاص عبودية الدعاء: ٤٩١
سابعاً: خطاب العبودية خطاب إنساني عام: ٤٩٣
ثامناً: بيان عناية الله بعباده وخبرته بهم: ٤٩٥
المبحث الثاني: أثر قيمة العبودية في النظم والفكر في ضوء سورة الإسراء، وفيه مطلبان: ٤٩٦
المطلب الأول: أثر قيمة العبودية في النظم: ٤٩٦
أولاً: أثر قيمة العبودية في النظام العقدي: ٤٩٦
ثانيًا: أثر قيمة العبودية في النظام الاجتماعي: ٥٠١
ثالثًا: أثر قيمة العبودية في النظام المالي والاقتصادي: ٥٠٢
رابعًا: أثر قيمة العبودية في نظام العقوبات: ٥٠٤
المطلب الثاني: أثر قيمة العبودية في الفكر: ٥٠٨
الخاتمة: ٥١٣
المصادر والمراجع: ٥١٤
فهرس الموضوعات ٥١٩